مجلة جامعة الزيتونة الدولية للنشر العلمي
Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
Issue N.30-Vol.1 / ISSN:2958-8537

العدد الثلاثون (30)، المجلد الأول
تاريخ 30 – 1 – 2025
(ص452 لـ ص468)

الخطاب الإسلامي في الغرب وثقافة التواصل

The Islamic Discourse in the West and the Culture of Communication

سفيان كـروم
Soufiane Kerroum
جامعة ابن زهر-كلية الشريعة –أغادير -المغرب
Skerroum02@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى النظر في أهمية "ثقافة التواصل" وأثرها في تعزيز الخطاب الإسلامي في بلاد الغرب، مركزا على المجالات التواصلية الآتية: الاجتماعية والمعرفية والتربوية، وانعكاساتها على الخطاب الإسلامي بالغرب.

منهج الدراسة: سيتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يراعي تحليل ظواهر النظم الاجتماعية والمعرفية والتربوية التي تميز المجتمع الغربي المعاصر، واستقراء المعطيات للوصول إلى نتائج الموضوع التي ستجيب عن التساؤل المحوري الذي طرحناه في مقدمة هذا البحث.

نتائج الدراسة: استخلصت الدراسة نتائج وتوصيات منها؛ ضرورة اهتمام الخطاب الإسلامي المعاصر بالانخراط في إعداد البرامج الدينية المعاصرة، وتكوين جيل جديد من الدعاة يكون مؤهلا اجتماعيا ومعرفيا وتربويا، وتأسيس خطاب إسلامي محيط بالثقافات الغربية ولغاتها، وعاداتها وتقاليدها وسننها الاجتماعية ونظمها التعليمية والسياسية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الإسلامي – الخطاب التربوي في الغرب – الثقافة التواصلية الإسلامية– تجديد الخطاب الديني – الإسلام في الغرب – تعايش الخطابات.

Abstract

This research aims to examine the importance of "communication culture" and its impact on the Islamic discourse in Western countries. We will focus on the following communicative areas: social, cognitive, and educational, and their repercussions on the Islamic discourse in the West.

Methodology: The researcher has followed the Descriptive Analytical Method which considers the analysis of the phenomena of the social, cognitive, and educational systems that characterize contemporary Western society, and extrapolates the data to arrive at the results of the subject which will answer the central question that we raised in the introduction of this research .

Findings: The study showed the need for contemporary Islamic discourse to engage in the preparation of contemporary religious programs, to create a new generation of advocates who are socially, cognitively, and educationally qualified, and to establish an Islamic discourse surrounding the cultures and languages of other nations and peoples, their customs, traditions, social ages, and educational and political systems.

Keywords: **Islamic discourse**, **educational discourse in the West**, **Islamic communicative culture**, **Renewal of religious discourse**, **Islam in the West**.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وعلم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين، مبلغا ومرشـدا وهاديا إلى الطريق المستقيم بخطاب موزون حكيم، وبعد:

فإن الخطاب الإسلامي يعيش غربة كبيرة في ديار الغرب، وتزداد هذه الغربة بتزايد أجيال جديدة ممن يسمون بأبناء الجيل الثاني والثالث من المواطنين المسـلمين المهاجرين المولودين في ديار الغرب. فهل سيكتفي الخطاب الإسـلامي بمعياريته التقليدية في التواصل مع هذه الأجيال الجديدة أو لابد من تنويع ثقافته التواصلية ليستجيب لمقاصد هذه الفئة الجديدة ومطالبها المعاصرة؟

للجواب عن هذا السؤال الجدلي اخترنا الحديث عن أهمية "ثقافة التواصل" في الخطاب الإسـلامي بالغرب وأثرها في الأجيال الجديدة. ونقصـد بثقافة التواصـل؛ الجهود العملية التي ينبغي أن تسـهم بها المقاصـد المعرفية واللغوية التواصلية والاجتماعية للخطاب في استيعاب وفهم الواقع المجتمعي الغربي في إطاره الشمولي.

فإذا كان الخطاب الإسلامي مسؤولا عن التعبير عن مقاصد الدين ومبادئه وحاجياته، فإن هذا التعبير يتوقف على ثقافة تواصلية متوازنة تتناغم مع ثوابت الدين ووجوده المعنوي، ومبادئه الكبرى وقيمه العالمية المشتركة. ومن واجب هذه الثقافة، أن تراعي ظروف المكلف ومقاصده الكونية بعيدا عن التحجر أو المغالاة أو التعصب.

لذلك سنحاول في هذا البحث أن نركز على المجالات التواصلية الآتية:(أ) – التواصل التربوي (ب)–التواصل الاجتماعي (ت)–التواصل المعرفي، وسنسعى إلى تشخيص معطياتها وتحليل مفاهيمها للوصول إلى نتائج كلية تستجيب للتساؤل المحوري الذي طرحناه في مقدمة هذا البحث.

المبحث الأول: مفهوم الخطاب الإسلامي وثقافته التواصلية

1. مفهوم الخطاب الإسلامي

يعد "الخطاب الإسلامي" أو الديني من المفاهيم المهمة التي أثارت جدلا بين المفكرين لما يثيره من قضايا في عالمنا المعاصر. وقد حاولوا مناقشته من زوايا متعددة سواء اجتماعية، أو ثقافية، أو فكرية، أو غيرها، لكونه يربط الحياة الدينية للمسلم بتطورات الحياة اليومية ونوازلها المتجددة.

جاء في لسان العرب: "الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا.. والمخاطبة مفاعلة من الخطاب. فهي مأخوذة من الفعل (خَطَبَ -يخطب – خطابًا) بمعنى حادث الناس وألقى عليهم كلاما، ويقال خاطَبَ الناس؛ وجّه إليهم خطابًا شفهيًا أو مكتوبًا، ومنه الخَطْبُ(أي الأمر الشديد، سمي بذلك لكثرة التخاطب فيه، ومنه الخُطبة التي يراد بها إقناع جمع من الناس، ومنه «الخطبة» طلب المرأة للزواج. (ابن منظور، مادة خطب).

وقد وردت مادة "خطب" في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، قال سبحانه: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20]، وقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63]، وقال سبحانه: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ﴾ [هود: 37]

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة، يقال: خاطب مخاطبة وخطابًا: تكلم معه، والخطبة: الشأن الذي يقع فيه المخاطبة (أحمد مختار، 2008م، ص، 159). ويتلاقى المفهومان اللغوي والقرآني للخطاب في التأكيد على دلالته السامية "فصل الخطاب" التي لا تتحقق إلا إذا اقترنت بالحكمة، وكان القصد منها بيان وجه الحق وتوضيحه.

أما مفهوم "الخطاب الإسلامي" فقد عرِّف تعريفات مختلفة منها من ركَّز على جانبه الاجتماعي فاعتبر الخطاب الإسلامي بأنه: "البيان الذي يوجَّه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم وتربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة عبادة أو معاملة، فكرًا أو سلوكًا، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم فردية أو اجتماعية روحية أو مادية، نظرية أو عملية)، في زمن معين، وهو خطاب للجميع،

يأخذ بعين الاعتبار كل فئات المجتمع واهتماماته، فيخاطب كل فئة بما يمكنها من فهم الخطاب والاستفادة منه)"(فرحان، 2002، ص، 5).

يشير هذا التعريف إلى الأهمية الاجتماعية للخطاب الإسلامي؛ فهو خطاب عالمي للجميع، يأخذ بعين الاعتبار كل فئات المجتمع، ويشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم، فهو خطاب يحمل معنى إلى المخاطب، ومن وظائفه التأثير على السامع، حيث تستعمل فيه أدوات لغويّة تمكّن من تحقيق التفاعل والتواصل والإقناع والدعوة باستخدام الحجة الدينية في الحكم على ما يستجد للمسلمين في حياتهم المعاصرة.

وهناك من الباحثين من ركز في تعريفه للخطاب الإسلامي على الجانب الفكري فميزه عن الخطابات الأخرى فيرى بأن: " الخطاب الديني (الإسلامي) بمختلف أشكاله وأنواعه وأهدافه يتميز بأن له أصوله العقائدية وقواعده الشرعية وأحكامه التفصيلية، ويتسم أكثر من غيره بالثبات والمبدئية وبوضوح غاياته ومقاصده وأهدافه لأنه مستوحى من القرآن والسنة النبوية التي من شأنها إكسابه قوة أو مصداقية"(مصطفى، 2017، ص، 24).

ويرى أصحاب هذا التصور، بأن الخطاب الإسلامي يتضمن بنية فكرية تحتاج دائما إلى "تجديد" للتعبير عن حاجته إلى مواكبة العصر، حتى يعبر عن الإسلام وتعاليمه العالمية العظيمة، ويؤدي الغرض للتعريف بالإسلام والدعوة إليه في هذا العصر الكوني المتقارب.

ويرى باحثون آخرون أن الخطاب الإسلامي هو خطاب منهجي يوازن بين الثوابت والمتغيرات وأن: "المستقبل في الساحة الإسلامية إنما هو للخطاب المعتدل المنضبط بمنهج الشرع، الصادق مع نفسه ومع الآخرين، المتمسك بالثوابت، والمتسامح في المتغيرات، ولن يكون هناك مستقبل لا للخطاب الغالي لأنه يتآكل مع نفسه ويصادم الطبيعة البشرية، وكما قال النبي –صلى الله عليه وسلم –"ولن يُشَادَّ الدِّين أحدٌ إلا غَلبَه"[1]، ولا مستقبل الخطاب الليبرالي، لأنه في بيئة غير بيئته، وليس له جذور، ولا للخطاب التوفيقي، لأن مصيره إلى الذوبان والانحلال"(العبودي، 2010، ص، 65).

وهناك من الباحثين من جعل الخطاب الإسلامي مرادفا لمفهوم الدعوة(حجاب، 2004م، ص، 24)، فقيده بخطاب الدعاة والوعاظ والخطباء والمفتين والباحثين الذين يقدمونه لجمهور الناس على أنه الوصف السليم والفهم الصحيح للإسلام في عقيدته ونظامه الأخلاقي وآدابه وشريعته"(مصطفى، 2017، ص، 24).

تدل هذه التعاريف على أن الخطاب الإسلامي، هو خطاب موجه للمسلمين وغير المسلمين، خطاب يحمل رسالة التواصل الروحي والاجتماعي والفكري في تسامح واعتدال، خطاب يتعامل مع جميع المجتمعات الكونية،

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب، الدين يسر، حديث رقم، 39.

ويراعي مصلحة المسلم أينما كان في العالم. لذا من واجب حامله أن يترجم أفكاره إلى الآخر بلغته الحية وثقافته الأصيلة، فهو خطاب التواصل والتحاور الإنساني.

2. مفهوم الثقافة التواصلية

عبر المفكر طه عبد الرحمن عن الثقافة التواصلية بمفهوم "الحجة الإيصالية"(طه، 1998، ص، 259) وتحدَّث عن فقهها في الخطاب وأهميتها في إيصال القصد، وذكر خصائصها وأهميتها الفعلية في تبليغ الكلام، انطلاقا من عنصرين أساسين:

أ. قصدية اللغة

فيرى بأن "اللغة هي المجال الذي تنكشف فيه القصدية المقرونة بالتواصل بأجلى مظاهرها؛ وما دامت الحجة لا تفارق اللغة، فإنها تنطوي على أقوى مظهر للقصدية، ولا عجب إذ ذاك أن نجد اللفظ العربي «حج» يفيد لغة "قصد"، فتكون كل حُجة (بضم الحاء) بمثابة حَجة (بفتح الحاء) أي تكون قصدا. ولما كانت القصدية هي التي تسند للقول قيمة الفعل، اتضح أن الوصف الفعلي ممثل بأجلى مظاهره في الحجة الموجهة" (طه، 1998، ص، 259).

ب. تراتب القصدية:

يرى طه عبد الرحمن أن "الحجة الموجهة تنطوي على طبقات من القصود(بمعنى النيات) وطبقات من المقاصد (بمعنى الأهداف) ؛ أما القصود، فمنها القصد إلى إخبار المستمع بالحجة، والقصد إلى إخباره بهذا القصد نفسه وهكذا؛ ومنها القصد إلى إقناع المستمع والقصد إلى تعريف المستمع بهذا القصد الأول وهلم جرا. وأما المقاصد، فمنها الأفعال التي يريد المتكلم من المستمع القيام بها، ومنها أيضا الأفعال التي تدله على اقتناع المستمع، ومنها أيضا الأفعال المشتركة التي تفيده في بناء فعله الإقناعي" (طه، 1998، ص، 259).

يستفاد من كلام طه عبد الرحمن أن "الثقافة التواصلية" من الضروريات التداولية في الخطاب؛ لكونها تراعي حال السامع، ومقاصد المتكلم، وتهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، من لغة الاستعمال، وسياق التخاطب، وتأثير المقال على المتلقي قصد الوصول إلى المعنى بحسب مقصد صاحبه.

ولعل الناظر في "تراتب القصدية في الثقافة التواصلية" في ديار الغرب وفق تعبير طه عبد الرحمن، يجد هناك أزمة في الخطاب الإسلامي بسبب انعدام القدرة على التواصل مع طبقات الأجيال الصاعدة من أبناء المسلمين، بين جيل أوّل يتميز بضحالة الوعي قادته الهجرة إلى الغرب اضطرارا من أجل العمل، والجيل الثاني والثالث وما يأتي بعدهما؛ وهي أجيال اندمجت بشكل إرادي في بيئة الغرب ومهِرت إلى حد ما ثقافته ولغته التواصلية، وصعب على الجيل الأول الفاقد لهذه المهارات أن يتواصل معها بشكل مباشر، فاستدعت الضرورة وجود خطاب إسلامي (ديني) ينوب عن الجيل الأول، يحمل ثقافة تواصلية جديدة يبصر الأجيال الجديدة بدينهم اجتماعيا ويوجههم معرفيا

وتربويا، ويعرفهم بواجباتهم وحقوقهم بطريقة تنسـجم مع عقليتهم وتصـوراتهم المزدوجة بين انتماء عربي إسـلامي، وهوية عربية غربية تتقاذفها استقطابات متعددة.

المبحث الثاني: التواصل الاجتماعي

يواجه الخطاب الإسلامي في الغرب تحديات كبيرة تجعله في حاجة إلى ثقافة تواصلية لتوعية المهاجر في ديار الغرب وتبصرته بواقعه الاجتماعي والمعرفي والتربوي. ومن الضـروريات التواصـلية التي يحتاجها التواصـل الاجتماعي، ويعني المعرفة بقواعد العمران الغربي وبالقوانين التي تحكمه، والطبيعة التي تنظم عاداته، والقواعد التي توجه سـياسـته، والعناصـر الاجتماعية التي تنظم مجتمعه ومنها: الهوية والتربية والتعليم والمأكل والمشـرب والملبس والمسـكن والأمن والتناسـل وغيرها من حاجيات المجتمع التي تحتاج إلى ثقافة تواصـلية اجتماعية من أجل إيجاد الحلول المناسـبة لمشـكلاتها الطارئة. ولا يمكن للأسـرة أو الفقيه أو المعلم أن يقنعوا بخطاباتهم الأجيال المهاجرة في ديار الغرب وهم لا يدركون تفاصيل المجتمع وما يتصل بثقافته. وفي هذا السياق، تشتد الحاجة إلى فقه التواصل الاجتماعي لدعم حقوق المهاجر المسلم وحمايتها والوفاء بها، خصوصا الطبقة الهشة من المهاجرين الذين هم عرضة للتهميش وخطر الاستلاب الروحي بفعل الاحتياج.

فأول الضـرورات في التواصـل الاجتماعي في ديار الغرب هي؛ تأهيل العالِم والفقيه والمعلم المعاصـر في مجال علم اللغة الاجتماعي وما يتصـل به من مشـكلات كالترجمة والتعدد اللغوي و"فقه المكان" أو "فقه الجغرافية"، وإدراك سـنن البيئة الغربية ومشـكلاتها اليومية، والخبرة بمؤسـساتها الاجتماعية والسـياسـية وطرق نظامها ومعاملاتها، حتى يجتهد في ضـوئها من أجل إنتاج خطاب تواصـلي قادر على الإقناع والتبليغ بقضـايا الدين بشـكل مناسـب. فلا يكفي أن يكون العلماء عارفين بأحكام الحلال والحرام فقط، أو وعاة بالتراث الكلامي والأصـولي وترديده، بل لابد أن تتسع مداركهم وعقولهم لما يعرفه العصر من علوم اجتماعية وإنسانية جديدة، وما يضفيه الفكر الإنساني المعاصر من غِنى وعمق في شتى مناحي الحياة، وأن يستخلصوا من المعرفة الشاملة والعصرية التصورات المتكاملة والمفاهيم التجديدية التي يجب أن يتضـمنها الخطاب الإسـلامي في المرحلة الراهنة (الكتاني، 2008، العدد،27) الضرورة الثانية؛ وجود مؤسسات في ديار الغرب تشرف عليها البلدان الإسلامية تعنى بتأهيل المعلمين والفقهاء في التواصـل الاجتماعي، وتهتم بتكامل المعارف وتداخل المناهج. فأمام هذه الضـرورات خطابات اجتماعية مزمنة عميقة ومتفرعة تختلط فيها الاجتماعيات بالإيديولوجيات وتحتاج إلى خطاب إسـلامي تواصـلي مؤهل للنظر في تأثيراتها ومآلاتها العاجلة، ومنها:

ا–خطاب العنصرية

لقد أضـحت العنصرية وآثارها السلبية من التحديات التي تزداد أشـكالها وتمثل تحديا كبيرا للخطاب الإسـلامي في الغرب، وأن مصـطلحاتها التواصـلية تكاد تكون اسـتفزازية للطرفين؛ الإسـلامي والغربي معا، كمصـطلح "الإسلاموفوبيا" الذي يعني رهاب الإسلام ومعاداته، وقد انتشر هذا المصطلح في المفردات السياسية الغربية على

نطاق واسع، وأصبح يشكل سمة للعنصرية التي يرددها الإعلام الغربي وتحرج المهاجر العربي المسلم خصوصا فئة الشباب المقبلة على الانخراط في المجتمع والإسهام في وظائفه، فتجد نفسها عرضة للتمييز والمفاضلة، وضحية لخطاب عدائي يفاضل بين العرق والدين واللون، الأمر الذي يشكل صدمة نفسية لديهم قد تنقلب إلى ردة فعل سلبية في حال انعدام خطاب إسلامي مقنع إلى جانبه ينصفه بالحجج المقنعة، ويحاور المجتمع نيابة عنه حول احترام التعددية والرأي الآخر، وأن ينوب عنه في إيصال صوته إلى المنظمات الدولية والمجتمعات العالمية. فدور التواصل الاجتماعي في هذا المجال هو ايجاد إجابات حول المقصود من "الإسلاموفوبيا" أو ما يسمى برهاب الإسلام ومعاداته، فهل هو رهاب من الإسلام أو من المجتمعات الإسلامية، أو ممن يمثل الخطاب الإسلامي، ومناقشة تبعاته السلبية على المجتمع العربي والإسلامي.

ولا يقتصر التواصل الاجتماعي في الغرب على الفقهاء أو الأوساط الأكاديمية في مناقشة مثل هذه الخطابات العنصرية في المجتمع، بل يحتاج كذلك إلى إشراك الجهات الفاعلة، وتشجيع منافذ التواصل والحوار مع غير المسلمين. وهذا النوع من التواصل يقود إلى الحوار المفتوح حول تأثير مثل هذه المصطلحات على التماسك الاجتماعي في المجتمعات متعددة الثقافات، وتبعاتها المعادية للإسلام. وفي ذات السياق في الوطن العربي، يجب الانفتاح على تدريس المعرفة النقدية وأساليبها الحوارية، وانفتاح التعليم الجامعي على شؤون الهجرة وخطاباتها المعادية، والمراجعة النقدية لما يُنتج من محتوى حول الإسلام، وتحديد إستراتيجيات التغلب على تبعات الخطابات العنصرية، وعلى المعلومات المضللة عن الإسلام والمسلمين، وتداول المفاهيم الخاطئة في الغرب. فيكون الهدف الرئيس للتواصل الاجتماعي هو الوصول إلى الحقائق الأساسية وتصحيح المفاهيم التي تعيد النظر في موقف الغرب من الإسلام.

فواضح أن المسلمين في الغرب يواجهون اليوم خطابات معادية بشكل متزايد اتجاههم، يسودها الشك والأحكام المسبقة، وفي بعض الأحيان ترتبط بالمضايقات الجسدية واللفظية والتهديدات والضرر بالممتلكات، وكل ذلك يتم تجاهله قانونيا وجنائيا. وهو الأمر الذي يستدعي خطابا تواصليا للتعريف العملي بخطورة هذه الخطابات العنصرية التي أصبحت خطة عمل جديدة لجرائم الكراهية ولها تأثير على علاقة الغرب بالإسلام. لقد أصبح المهاجر سواء كان رجلا أو امرأة يستقبل باستمرار موجة من الكراهية عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وفي الأماكن العامة كالقطارات والحافلات ومراكز التسوق وكذلك في أماكن العمل. وقد أثرت أفعال هذه الخطابات العنصرية في نفسية المهاجر حتى صار يخاف في بعض الأحيان حتى من الذهاب إلى المساجد بسبب توقعه للهجمات التي قد تقع بالقرب من المساجد أو المناطق التي يكثر فيها عدد المسلمين. وهي تصرفات تضر بمستقبل التماسك المجتمعي الغربي وبثقة الشرق في الغرب.

وقد أشار الباحثان لامبرت وجيثنز مازر (Lambert, B. and Githens-Mazer) في بحث لهما نشر عام (2011م) إلى التطور التاريخي الذي عرفته مفاهيم العنصـــرية بالغرب ومنها مثلا في بريطانيا اســـتبدال مفهوم «Paki-bashing » الذي انتشر في بريطانيا منذ الستينات ويعني "تقريع الباكستانيين" أو المهاجرين من جنوب شرق آسيا بـــمفهوم «Muslim-bashing» الذي أصبح يعني"تقريع المسلمين" وهي ظاهرة جديدة خطيرة في الشوارع البريطانية. في حين أنه قبل عشر سنوات كان الجناة يركزون على السود والآسيويين كأهداف محتملة، ثم تطورت الأمور فأصبحوا يركزون هجماتهم على المسلمين بصفة عامة. وفي ضوء الهجمات العنصرية المتنامية، تبدو تجارب الإيذاء المعادي للإسلام وكأن التاريخ يعيد نفسه (Lambert، 2011).

لكن على الرغم من تجليات خطابات الكراهية للإسـلام وأفعالها العنصـرية والتمييزية في الغرب، هناك جانب من المجتمع الغربي يرفض "الإسـلاموفوبيا" ويعتبرها انتهاكاً لحقوق الإنسـان وتهديداً للتماسـك الاجتماعي، وتشـكل تهديدًا للتعددية والتنوع باعتباره ثروة إنسانية مادية. فهذا الطرف الأخير هو الذي ينبغي أن يتواصـل معه الخطاب الإسلامي لإقناع الطرف الآخر، وبواسطته ينمي حضور الشباب المهاجر في المجتمع وفي خطاباته وحواراته المباشرة وتأهيله لتحليل موضـوع كراهية الإسـلام ومعالجته في السـياق العالمي للعنصـرية، وذلك وفق منهج الموازنة بين المصلحة والمفسدة كما يقول الشاطبي:" إن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه، ومصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول الأول بالمشـروعية فربما أدى اسـتجلاب المصـلحة فيه إلى مفسـدة تسـاوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من إطلاق المشروعي" (الشاطبي، 2010، ص، 141).

فمن مقتضـيات المقاصـد التواصـلية في الخطاب الإسـلامي العلم بمآلات الأفعال، وعدم التسـرع في تنزيل الرأي الواحد دون موازنة بين المصالح ودراسة أبعاد المفسدة التي قد تنجم عن المآل القاصر الذي قد يقصد إليه. فحل الخلافات و النزاعات ذات الطابع العنصري الاجتماعي التي تتصل بالمهاجر سواء في مسألة الاندماج أو التجنيس أو الحجاب، أو غيرها من التصرفات الاجتماعية التي أثارت خطابات معادية للإسلام، لا يمكن معالجتها بخطاب إسلامي متشنج أو متصلب سواء فوق المنابر أو في المواقع الإعلامية لرفض الآخر ونهج طريق الصدام والقوة المادية معه التي قد تعوق الممارسـة العملية، فيجد الطرف الآخر المبررات الكافية والأدلة السـلبية على ما يذهب إليه من أن الخطاب الإسلامي يرفض التحاور ويحب السيطرة والعنصرية والانحياز إلى الصدام و العنف.

فنجاح الخطاب الإسـلامي في حل المشـكلات الاجتماعية هو جزء من وعينا بمآلات الأفعال كما نصـت عليها مقاصـد الشـريعة. ولذلك وجب على المؤسـسـات في المهجر وخارجه أن تدعم نهج الحوار مع الآخر، وأن تطور آليات اشـتغالها في هذا الجانب، وأن تركز على فقه المآلات كما أشـارت إليه مقاصـد الشـريعة، وأن تسـتثمر نصوصها في تدبير الشؤون الاجتماعية، ونبذ ثقافة الشك والأحكام المسبقة عن الإسلام والمسلمين التي زرعتها

خطابات العنصرية، و إبراز دور الخطاب الإسلامي المنفتح بديلا عمليا وفاعلا في معالجة الخلافات و النزاعات القائمة بين الطرفين.

ب. خطاب التحيز الإعلامي

أشار المستشرق الفرنسي جاك بيرك (Jacques BERQUE) في مقاله: " الإسلام في زمن العالم" إلى "أن الإسلام له أبعاد كونية: بعد روحي، وبعد تاريخي يسعى من خلاله إلى استعادة عظمته السابقة لكن يواجه في طريقه سوء الفهم "(BERQUE ، 1985، ص، 13) وأشار جاك بيرك أيضا ضمن هذا المقال إلى أن هناك غموضا في الفهم التاريخي للإسلام وهذا الغموض بدل أن يخف، ازداد سوءا على مدى القرن والنصف الماضي، منذ ظهور الثورة التقنية والعلمية في الغرب وتخليه عن الجوانب الروحية، واحترام الاختلاف. وذكر بيرك أن أنموذج التفاهم المتبادل بين المسلمين والغرب، كان بين مفكري القرن الثامن عشر، حيث قرأ عن دينيس ديدرو وهو مفكر أوروبي[2]، كان يتواصل باستمرار مع العالم الهندي السني الآسيوي، شاه ولي الله[3]. وهذا الآسيوي العظيم كما يقول بيرك ظل مجهولاً في العالم العربي لفترة طويلة، حيث سادت قطيعة واضحة وثقافة مغلوطة وجهل متفاقم. وفي النهاية يقول بريك:" لكي نعرف ما هو الإسلام، علينا أن نرفض العديد من الصور النمطية، حتى نفهم الوضع الذي ينبغي أن نكون عليه" ((BERQUE، 1985، ص، 13).

إن تشويه صورة الإسلام، وتشجيع النمطية السلبية عن طبائع العرب والمسلمين التي رسخها الخطاب الإعلامي الغربي عن المجتمعات العربية، ترتبط بحجم التخلف الذي يسود المجتمعات الإسلامية؛ بحيث يآزر أفرادها هذا النوع من الخطابات وينخرطون فيها ويتواصلون مع سلبياتها، وهو ما يقدم للغرب عونا على التفاعل السلبي مع ثقافتنا الانهزامية. لذلك استغل الخطاب المعادي للإسلام والمسلمين بشتى أساليبه الفرصة من أجل تشويه صورة الشباب المسلم وتشويه الإسلام والافتراء على تاريخه وتراثه، والتشكيك في قيمه وحضارته، استغلالا للجهل والأمية بين أبنائه، بل استغلالاً للأجيال التي لم يتح لها فرص التزود الكافي من التكوين الثقافي بلغاته المعاصرة، وحرمت في تعليمها وتثقيفها من مقومات الثقافة الإسلامية المعاصرة، فغدت أكثر استعداداً للاقتناع بموقف الفكر الغربي والانحياز إلى ثقافته بديلا عن الإسلام وحضارته.

---

(2) دنيس ديدرو (بالفرنسية، Denis Diderot) توفي عام (1784) بباريس. هو فيلسوف فرنسي وكاتب وموسوعي، وهو من قادة حركة التنوير.

(3) الشاه ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور الحنفي، توفي عام (1762م) عالم هندي مجدد، ويعرف بمسند الهند. وإمام المحدثين بالهند، اشتهر بكونه سبب في انتشار الإسلام في قارة الهند.

وكان من انعكاسات هذه التحديات على النسيج الاجتماعي والثقافي الإسلامي، أن ترتب عليها حالة عامة من الإحباط النفسي، وشيوع روح الانهزامية والاستسلام والتشكيك وفقدان الثقة في قدرات المسلمين على المواجهة والحوار الحضاري. وتفسر لنا أنماط شتى من ردود الفعل في المجتمعات الإسلامية الرفضَ للآخر والانكماش والانغلاق، وتكفير المخالف، والانسلاخ من الهوية، والانبهار بالآخر والانفتاح الاضطراري على الثقافة الغربية بدون قيود أو ضوابط.

فالخطاب الإسلامي الجاد هو الذي يعمل على تغيير هذه الصورة النمطية السلبية لتخلف مجالاتنا التعليمية والتربوية والفكرية والاجتماعية، وتشجع ثقافة التواصل المتكافئة من أجل التقليل من الشعور بالدونية والتخلف الاجتماعي، والانخراط في مبادرة الحوار، وإشاعة مدلول الكرامة والثقة في النفس، لتدارك الفجوة بين الغرب والعالم العربي والإسلامي. وتحقيقا لهذا التغيير لابد من مراعاة مصلحتين أساسيتين:

أ. مصلحة التواصل الإعلامي:

والغرض من هذه المصلحة، تكثيف الجهود من أجل إحداث قنوات فضائية اجتماعية تواصلية بديلة، لإحداث تغيير جذري في طريقة التعامل مع ما يعرضه خطاب الإعلام الغربي من صور سلبية عن الإنسان المسلم، وعن بيئته ونشأته، وذلك بإظهار التنوع والثراء الحضاري الذي تزخر به المناطق العربية والإسلامية فكرا وثقافة وفنا، مع التركيز على الجوانب المتعلقة بالتراث الثقافي والحضاري والإنساني المشترك الذي يبعث الحماس والثقة في نفسية الشباب المعاصر، وهو الوجه الغائب عن تجليات الضمير الغربي والجيل الإسلامي الناشئ في ديار الغرب.

ب. مصلحة التواصل الإنساني:

والغرض من هذه المصلحة، نشر مقاصد الكرم والفضل التي يحملها الخطاب الإسلامي، والتي لم تنتشر أبدا بالعنف والقهر والإكراه، وأن الدين الإسلامي ما جاء ليقضي على الديانات الأخرى، بل الآية القرآنية تعلن للعالمين صراحةً بأن الإسلام يؤمن بالاختلاف والتنوع وحرية العقيدة وفق مبدإ التعايش والاحترام الإنساني، ولا يكره أحدا على اعتناقه أو اتباع مبادئه يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حتَّى يَكُونُوا مُؤمِنِينَ ﴾ [هود: 118-119].

فالخطاب الإسلامي الناجح هو الذي يمتلك نظرة موضوعية عن الغرب تعتمد على التأثير والتأثر المتبادل، وربطها بالنظرة العالمية للإسلام التي تقتضي إعادة النظر في فهمنا للغرب.

المبحث الثالث: التواصل المعرفي

يعد التواصل المعرفي من الضرورات التي يحتاجها الخطاب الإسلامي بالغرب، لأن المهاجرين وبخاصة الأجيال الجديدة منهم يعيشون مشتتين بين ثقافتين؛ الثقافة الإسلامية التي تمثل هويتهم الدينية، والثقافة الغربية التي تمثل هويتهم الوطنية المكتسبة. وهي مفارقة تطرح السؤال الآتي؛ كيف يمكن التواصل مع مواطنين غربيين بهوية إسلامية؟ وكيف يمكن استيعابهم ضمن هوية موحدة تلغي الخصوصيات الدينية والثقافية؟

لايمكن الجواب عن هذه الأسئلة في غياب مؤسسات معرفية داخل الوطن العربي وخارجه تهتم بقضايا الشباب في المهجر والتحديات المعرفية التي يواجهها في قضيا مختلفة منها: التعددية الثقافية، ومؤثرات الاختلاف الإيديولوجي، والمرجعيات السياسية والـــدينية، والتنوع الثقافي الذي يشكل هاجسا وهمّا معرفيـــا في دول الاستقبال، والاندماج الاجتماعي، والهجرات الجماعية، وتأثير الأحداث الإرهابية على مســتقبل المهاجر، وموضــوع الســلم المجتمعي والأمن العالمي، وغيرها من القضــايا التي تحمل وعيا تواصــلا معرفيا، تدعو المســلم أن يكون متفاعلا مع قضــايا العصر وما تثيره من مسائل متجددة.

فالإســلام دين عالمي يخاطب الإنســانية كلها، وليس خاصّــاً بالعرب وحدهم، أو بفئة أو شــعب واحد أو عصــر معين. ولكي يحافظ المسلمون على هذه الرسالة وخطا بها العالمي لابد من إصلاح مناهج المعرفة التي تراعي التنوع العرقي والتنوع الحضـــاري والتعدد المجالي البيئي والثقافي، وامتلاك مهارات الخطاب التواصـــلي المعرفي المبنية على المعرفة العلمية، والملاحظة والاستقراء، والدعوة إلى الحوار مع المخالف بالحكمة والموعظة، والجدل بالتي هي أحسن كما في قوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]

وهي دعوة اســتوعبتها أجيال المســلمين الأوائل، فتفاعلوا معها فكريا ومعرفيا وحضــاريا فأنشــأوا مناهج الفهم للاســتنباط الفقهي، وبنوا الأســس المعرفية لظواهر الحياة النفســية والاجتماعية والمادية والثقافية التي قدَّمها القرآن الكريم. وأســســوا مناهج للحوار والتعايش الحضــاري في المجال الاقتصــادي والســياســي والاجتماعي. فالخطاب الإســـلامي المعاصـــر بحاجة إلى تجديد هذه المناهج التي جمعت بين النقل والعقل، حتى يســتطيع أن يتفاعل مع القضايا المعروضة عليه في كل زمان ومكان، ومن المناهج التي نرى أهميتها في التواصل المعرفي:

أ. مناهج العلوم الإنسانية

تتجلى أهمية مناهج العلوم الإنســانية في كونها تتصــل بالتاريخ الثقافي للغرب وتعبر عن خصــوصــياته ومشــكلاته الفكرية، وقد تســربت هذه المناهج إلى الجامعات ومراكز البحث العلمي في العالم الإســلامي نتيجة الفراغ العلمي مع شدة الحاجة إلى التجديد ومقتضياته(أمزيان، 1414هـــ، ص، 203). وكان القصد من هذه المناهج هو الإســهام في تعميق اتجاهات الباحثين المســلمين إزاء القضــايا الإســلامية داخل الوطن العربي وخارجه بما يكفل تفاعلا ايجابيا معها، وتصحيح رؤية المسلمين إلى واقعهم وحضارتهم، وتحقيق تصحيح للفكر والسلوك والعلاقات التي تربطهم بالله ربهم وبالمجتمع من حولهم (جامعة الإمام محمد بن سعود، 2018، ص، 23).

وقد اشتدت الحاجة إلى مناهج العلوم الإنسانية في ديار الغرب لمساعدة الخطاب الإسلامي على تصحيح بعض المفاهيم وإيجاد حل لمشكلاتها كمسألة: "الانتقال من فقه الأقليات إلى فقه الاندماج" ومسألة "تهميش المسلمين

في الغرب الذي أدى إلى تطرف بعض أبنائهم"، وهي مجالات تحتاج إلى تعزيز مناهج العلوم الإنسـانية في الجانب المعرفي لتوعية المهاجر المسلم بأن المواطنة الكاملة لا تتناقض مع الدين.

ب. منهج الموازنات

يعد منهج الموازنات من المناهج التطبيقية الأساسية التي يمكن اعتمادها في تجديد الخطاب الإسلامي خصوصا في ديار الغرب، لكونه يوجه نظر الفقيه عن طريق الموازنة بين المصالح عند تزاحم المقاصد فيما بينها أو عند تعارضها واستحالة الجمع بينها، فعندئذ يُصار إلى الترجيح والاختيار، أي ترجيح ما يكون أنسب واختيار ما يكون أصلح (أبو رضا، 2008، ص، 15-25).

ويتميز منهج الموازنات عن منهج الأولويات؛ أن منهج الأولويات يتصـل بتقديم ما هو أولى وترك غيره مع القدرة على فعل الاثنين، أما منهج الموازنات فيكون فيه تقديم الأولى والأهم، وترك غيره لاستحالة الجمع بينهما. ويشكل فقه الموازنات ميداناً رحباً لإجراء النظر والاجتهاد واعتماد مبدإ التجديد (الخادمي، 2008، العدد 20).

ولاشك أن استعمال منهج الموازنات خصوصا في ديار الغرب له دور كبير بالنسبة للمسلمين في خطابهم التواصلي الذي ينبغي أن يركز على ترتيب المطالب والاحتياجات الاجتماعية بحسب منافعها وضروراتها. فمثلا كانت النظرة السياسية الغربية اتجاه مطالب المسلمين التقليدية مختزلة غالبا في مطلب واحد وهو بناء المساجد في الأحياء التي يقطنون بها، مقابل الحصول على أصواتهم ودعمهم للمترشح للبلديات أو للبرلمان. وهو اختيار ينبغي تغييره بناء على الموازنة بين مطالب أخرى تقتضي من المسلمين استعمال فقه الموازنة؛ كالموازنة مثلا بين بناء المسجد و بث قناة فضائية، أو بناء دور للشباب أو مرافق للثقافة والحضارة الإسلامية وغيرها. فمطلب بث المحطة الفضائية لها مصـالح متعددة على مسـتوى التعليم والتثقيف والتوعية وهي أولى وأهم، بحيث يمكن أن تغطي مختلف التراب الأوربي توعية وتثقيفا، بينما بناء المسـجد على الرغم من دوره وأهميته الدينية والاجتماعية قد لا تتعدى مصـالحه عدد المقيمين والمجاورين له. وهذا المثال يدخل في جانب الوعي بأهمية الموازنة ودورها في التأثير والتوجيه والتوعية.

المبحث الرابع: التواصل التربوي

يختلف خطاب التربية من مجتمع إلى آخر، ومن أمة إلى أخرى، ومن عصـر لعصـر فالتغيير هو صـورة الحياة، والاختلاف هو طبيعة البشـر وناموس الكون، ومن النادر أن نجد أمة من الأمم أو شـعبا من الشـعوب يتفق كلية مع غيره وتفكيره ورؤاه حول قضاياه وأموره المصيرية (كشميري، 1418 هـ، ص، 18).

لذلك فإن الخطاب التربوي الإسلامي في ديار الغرب، يحتاج إلى أن ينظر في شؤون التربية الإسلامية وطرق تلقينها كما تمارس اليوم في البيت وفي المدرسـة وفي المراكز والجمعيات الدينية والثقافية، وينظر في رغبة المسـلمين في بلاد الغرب التي تطمح إلى تعليم إسـلامي كلي وليس الجزئي يطبّق كل العادات الموجودة في العالم الإسـلامي وينقلها إلى المجتمع الغربي، من ارتداء للحجاب، وارتياد المراكز والمسـاجد الإسـلامية، ورغبة في حفظ الهوية والبعد عن مسـبّبات التأثير والانفتاح الغربي. لكن في مقابل ذلك، هناك مجتمع مختلف يتميز نظامه التربوي بخصـوصـيات

لايمكن تعميمها على الفكر التربوي الإسلامي كمبدأ "اللائكية " أو (اللادينية) مثلا؛ الذي يؤمن خطابه بالحرية المطلقة دون تقيد بالدين ومظاهره. ونتيجة لذلك، وجد في هذه البيئة خطابان مختلفان: الخطاب الأول؛ يرى بأن الدين الإسلامي تربية وثقافة لا يختلف عن الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية والهندوسية التي تتمتع بحرية التعبير والتدريس في الغرب. وهذا الاتجاه هو الذي يجب على الخطاب التربوي الإسلامي أن يتواصل معه ويحتضنه في إطار العيش المشترك بين الأعراق والشعوب العالمية.

أما الخطاب الثاني؛ فيرى في انتشار المراكز والمدارس الإسلامية خطراً يهدد المجتمعات الغربية ويهدد بنيانها الداخلي الذي يقوم على ثوابت وأسس لائكية (لادينية) لا تتوافق مع الخطاب الإسلامي. وفي هذه الحال لابد من التواصل مع هذا الطرف، حول الطرق الناجعة لضمان مستوى تعليمي وتربوي مناسب للمسلمين في إطار مبدأ التعددية والتنوع الثقافي.

وبسبب محدودية التواصل المعرفي بين الشباب المهاجر وأسرهم المتواضعة معرفيا، استفحلت أزمة الهوية والاغتراب الثقافي التي يعيشها أبناء المسلمين في ديار الغرب؛ بحيث يعيشون وضعية مأساوية تعود للاغتراب الثقافي، وضياع الهوية الإسلامية، وفقدان الثقة بالنفس، والانعزال والتأخر الدراسي، وسوء التكيف مع المحيط الخارجي. ولا شك أن المسؤول المباشر عن هذا الاغتراب القسري هي الأنظمة التربوية والتعليمية الغربية التي ترفض الانفتاح على ثقافات الآخر، وكذلك المجتمع الذي يرفض من لا يتمثل القيم والثقافة الغربية (الإسيسكو،2011، ص، 89)، ويقاسمه في هذه المسؤولية، الأطر الأكاديمية الإسلامية التي أبانت عن ضعفها في استقراء واقع السنن الاجتماعية في الغرب، وفشلت في تلبية الحاجات الثقافية للشباب المهاجر، "إذ لم يتمكن المسلمون فيما يقرب من قرنين من التعليم اللاديني القائم على النموذج الغربي، أن يحققوا تقدما أو يبدأوا نهضة حقيقية، فهم لم يستطيعوا أن يؤسسوا لحد الآن مؤسسة أكاديمية تخرج من أبناء المسلمين منافسين لأمثالهم الغربيين في الإبداع والتفوق، والتعامل مع قضايا مجتمعهم بالكفاءة والفعالية المطلوبة" (العلواني، 2009، ص، 167).

وفي هذا السياق، فإن المطلوب من الخطاب الإسلامي أن يمتلك تواصلا تربويا عميقا يعتمد أنموذجا استقرائيا شاملا يجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ أي أن يتبنى مبدأ الإسلام الوسطي منطلقا للتربية والتعليم، ومرجعا للعلوم التي يتم تعليمها في المعاهد والمراكز العليا، ثم الاهتمام والاستفادة في الوقت ذاته من مناهج العلوم والمعارف المعاصرة.

فمنهج الاستقراء من المناهج المتميزة التي يمكن أن تؤسس عليها معارف خاصة تناسب ثقافة الغرب، فهو منهج يعني التتبع لمعرفة أحوال الوقائع وتفاصيلها. ولذلك اعتبره المناطقة من باب الحكم على كلي بما يوجد في جزئياته الكثيرة (التهانوي، 1996، ص، 172). وقد وصف الغزالي هذا المنهج بقوله: "أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات حكم على ذلك الكلي به "(الغزالي، 1990، ص، 148).

ونرى بأن منهج الاستقراء له دور كبير في التواصل التربوي، وهو شق هام في الفكر الإسلامي المعاصر؛ يحتاج إليه الفقيه في جانبه المنهجي التطبيقي؛ يبدأ من الجزء وينتهي بالكل، أي أنه يعتمد على النظر في الظواهر الجزئية التي توصـــل إلى الظاهرة الكلية التي تقع في المجتمع. أي أنه منهج قادر على بناء الكليات المعرفية والتربوية، لكونه منهجا قبليا وليس بعديا؛ يدرس العوامل والمسـببات والظواهر الصـغيرة أو الفرعية التي تقود إلى الظاهرة الكبيرة أو الكلية. ولا شـك أن الظواهر التربوية في تنوعها ومعطياتها الجديدة وجزئياتها الدقيقة لا يمكن الوصـول إليها إلا عن طريق منهج التتبع وهو المنهج الاســتقرائي، الذي يعتمد في دراســته على تحديد الأســباب الموضــوعية والذاتية الموجودة في المجتمع أو البيئة التي وقعت فيها الظاهرة المعينة.

ويكفي أن نستقرئ مثلا مناهج الكتب التعليمية الموجهة للأطفال الذين يعيشون في الوطن العربي ويتحدثون اللغة العربية ويفهمونها، لا يمكن أن توجَّه بالمنهج نفســه إلى الأطفال الذين يعيشــون في بلاد الغرب، فهي تتضــمن خطابات بمصـطلحات وكلمات عسـيرة الفهم لدى الطفل المسـلم في ديار الغرب، فلابد من مراعاة طريقة تعلمه، والقضــايا التي يعيشــها وتناســب عقليته، كالإخراج الفني للكتاب الذي ينبغي أن يلائم ذوقه العام في الغرب، ومضـمون الكتاب الذي ينبغي أن يتضـمن خطابا واضـحا يقتضـي التدرب على التحليل والتعليل والاسـتنباط، ويتضـمن الأمثلة المناسـبة للتواصـل والحوار وليس فقط الحفظ والتلقين، حتى يسـتطيع التلميذ الوصـول إلى الهدف الكبير وهو امتلاك خطاب يساعده على فهم بيئته الغربية، ويستطيع فهم المشكلات التي يعيشها في مجتمعه والتي تختلف في فكرها وتصورها عن بيئته العربية.

لذلك نرى أن البحث في العلاقة بين الخطاب الإســلامي وثقافة التواصــل في جانبها الاجتماعي والمعرفي والتربوي هي ضرورة مقاصدية تساعد على اكتساب آليات التواصل، وشروط الوعي العالمي الجديد المتميز بمناهجه وتحدياته المعرفية. وهي في الوقت ذاته ثقافة تســتوعب مقاصــد البنية الثقافية والفكرية والاجتماعية للمجتمعات العربية والغربية في إطارها التكاملي.

الخاتمة

ناقش هذا البحث موضــوع الخطاب الإســلامي بالغرب وحاجته إلى ثقافة التواصــل، واعتبر الخطاب الإســلامي مقصـدا من المقاصـد، وخطة عمل مناسـبة للتعبير عن المصـالح التي تتفاعل مع المسـلمين في ديار الغرب، وتتفاعل مع التطورات التي تعيشها مؤسساته الاجتماعية والسياسية.

وعندما نربط مقاصـد الخطاب الإسـلامي المعاصـر بالتخطيط والعمل؛ فإننا نقصـد الجهود العملية التي ينبغي أن تسـهم بها الثقافة التواصلية للخطاب الإسلامي في استيعاب وفهم الواقع المجتمعي الغربي في إطاره الشمولي، وتعزيز التواصــل معه وفقا لنظمه الاجتماعية الغربية من نظام أســرة وتعليم وثقافة وغيرها. وإدراك وظيفة كل نظام وكيفية تحقيقه لغاياته المرجوة.

لذلك دعت الحاجة إلى الاهتمام بثقافة التواصل في الخطاب الإسلامي بالغرب، من أجل دعم الهوية الإسلامية وفقا لشروط الوعي العالمي الجديد المتميز بمناهجه وتحدياته المعرفية. وهي مصلحة كبرى ينبغي أن تستوعب مقاصدها البنية الثقافية والفكرية والاجتماعية للمجتمعات العربية. ومن القضايا الكبرى التي دعا إليها هذا البحث:

أ- اعتبار "ثقافة التواصل" مقصدا من المقاصد لها دور في بناء العلاقة بين المسلم المهاجر ومحيطه الكوني. وقد أكدت المعطيات الواقعية بأن الغرب ينتظر من الخطاب الإسلامي التفاعل مع سننه الاجتماعية والسياسية بعقلانية وتبصر في التواصل أو التحاور.

ب- تأسيس برنامج مقاصدي يسعى إلى تكوين جيل جديد من الدعاة المؤهلين فكرا وعقيدة، قادرين على التواصل مع أجيال المهاجرين المختلفة ومع أفراد بلد الاستقبال.

وقد حاول البحث أن يصل إلى بعض النتائج التي نرى أهميتها في دعم قضيته الكبرى ومنها:

1. الاهتمام بالمقاصد التواصلية للخطاب الإسلامي الموجه إلى المسلمين في ديار الغرب.
2. إحياء المقاصد الاجتماعية، وإعادة الاعتبار لمسألة الجمع بين علم الاجتماع والخطاب الإسلامي.
3. الاهتمام بالمقاصد المعرفية، وتأسيس إطار معرفي يناقش قضايا العصر وآفاقه المتعددة.
4. الانخراط في إعداد برامج دينية تواصلية معاصرة تساعد على التحصين من الانزلاق للتعصب والانغلاق الفكري.
5. تعزيز خطاب إسلامي يحيط بثقافات الشعوب ولغاتها وعاداتها وتقاليدها وتواريخها وسننها الاجتماعية ونظمها التعليمية والسياسية.
6. ضرورة وجود مؤسسات متخصصة في ديار الغرب تسعى إلى تكوين علماء ودعاة مؤهلين لإعادة قراءة الإسلام بخطاب إسلامي يتماشى مع تطلعات البشرية المعاصرة ويستجيب لمآلاتها في تحقيق السلم والسعادة والرفاه، وكل ذلك يساعد على تغيير الصورة المغلوطة عن الإسلام في واقع اليوم.
7. تحسيس العلماء والمفكرين والمثقفين بمسؤولية التبليغ لرسالة الإسلام بخطاب إسلامي مقبول يراعي أحوال الناس جميعاً، ويراعي مآلات الأفعال التي تقتضي إعادة تقديم الإسلام بقيمه الإنسانية السامية وإرساء جسور الحوار بين الحضارات والثقافات المختلفة، وتفويت الفرصة على دعاة الصدام بين الحضارات، الذين يستهدفون حقيقة جوهر الإسلام ويسعون إلى إقصائه وتهميشه.
8. إشراك الخطاب الإسلامي في النقد الذاتي الهادف لإصلاح الصورة السلبية التي يعاني منها معظم البلدان الإسلامية؛ و تفعيل القيم النبيلة التي هي من مقاصد الشريعة في تجديد خطابها، وتحسين أداء المسلم في إطار التنمية البشرية في العالم الإسلامي أو في الغرب.

9. اعتبار الخطاب الإسـلامي بالغرب مشـروعا حضـاريا طويل الأمد من شـأنه أن يدفع بالآخرين إلى احترام الإسلام حضارة وثقافة والنظر إليه بأنه دين المحبة والسلام وأنه ملك للإنسانية جمعاء، وذلك بتفعيل ثقافة التواصل والتي بغيابها ستستمر السلبيات لصيقة بالإسلام والمسلمين، وسيزداد خطاب الكراهية في تهديده لثقتهم بهوياتهم
10. يوصي هذا البحث بالانفتاح على تدريس المعرفة النقدية وأساليبها الحوارية، وانفتاح التعليم الجامعي على شـــؤون الهجرة وخطاباتها المعادية، والانفتاح على المراجعات النقدية لما يُنتج من محتوى عن الإســـلام، وتحديد إستراتيجيات التغلب على تبعات الخطابات العنصرية، وتداول المفاهيم الخاطئة في الغرب.

المصادر والمراجع

أبو رضا، سعد (2000). معالجة النص في كتب الموازنات التراثية، منشأة المعارف الإسكندرية.

إستراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب، (2011). منشورات الإيسيسكو، مدريد .

أمزيان، محمد (1414 هـــ). قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية –مجلة البيان – المنتدى الإسلامي بلندن – ع75.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (ب.ت) صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

البكار، عبد الكريم (2006). تجديد الخطاب الإسلامي: الرؤى والمضامين، العبيكان، الرياض.

التهانوي، محمد علي (1996). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

جامعة الإمام محمد بن سعود عمادة البحث العلمي، (2018). ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية.

حجاب، محمد منير(2004). تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع.

حسين، عماد علي عبد السميع (2004). تجديد الخطاب الديني بما يتناسب مع روح العصر ضرورة دعوية في ضوء المستجدات والمتغيرات المعاصرة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الخادمي، نور الدين (2008). التجديد من منظور مقاصد الشريعة، مجلة التفاهم، ع 20.

ســـيدبى، جمال رجب (2021). منهج تجديد الخطاب الديني (رؤية نقدية جديدة). القاهرة: نيوبوك للنشـــر والتوزيع، ط1، القاهرة.

الشاطبي، أبو إسحاق (2010). الموافقات، اعتنى به: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.

شبل الخواجة، كمال ياسر(2017). تجديد الخطاب الديني في إطار المشهد التاريخي ومواجهة الآخر «الغربي»، القاهرة: نيوبوك للنشر والتوزيع.

طه، عبد الرحمن (1998). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت.

العبودي، محمد بن ناصـــر (2010).معجم أســـر بريدة، دار الثلوثية للنشـــر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

العلواني، طه جابر (2009). إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الخامسة، فرجينا الولايات المتحدة.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب.

الغزالي، أبو حامد (1990). معيار العلم في فن المنطق، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

فرحان، اسحق أحمد (2002). نحو خطاب إسلامي معاصر، الأردن، عمان، در الفرقان.

الكتاني، محمد (2008). الخطاب الإســلامي ومتطلبات المرحلة الراهنة، مجلو الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ضمن حوارات المجلة، العدد 27.

كشميري، محمد عثمان (1418هـ). مقدمة في أصول التربية، مكتبة العبيكان، الرياض.

مصطفى، محمد عبد الفتاح (2017) الخطاب الديني تجديد لا تبديد وتطوير لا تحريف، كنوز للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ). لسان العرب دار صادر، بيروت.

المراجع الأجنبية:

Jacques BERQUE et Autres, (1985).*Aspects de la foi de l'islam*, , Facultés universitaires Saint-Louis, Bruxelles.

Lambert, B. and Githens-Mazer, J. (2011). *Islamophobia and Anti-Muslim Hate Crime: UK Case Studies 2010*– An Introduction to a Ten Year Europe-Wide Research Project, London: European Muslim Research Centre.